مرحلة ما قبل التاريخ

تطرح خريطة مواقع ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم العديد من الإشكاليات التاريخية، ففضلا عن كونها تكشف عن كثافة مواقع الاستقرار البشري، فان تعدد الصناعات الحجرية وتنوعها يجعل تتبع مراحل تطور هذه الحضارات من شأنها أن تؤسس لسؤال منهجي كثيرا ما أثار الجدل، وهو ما أصل سكان بلاد المغرب القديم؟ وما مكانة مختلف النظريات والاطروحات التي دافعت عن الأصل المشرقي لبلاد المغرب؟

فاكتشاف عين الحنش المتمثل في الصناعات الحجرية للنواة الأصلية ومخلفات اقتطاع اللحم من عظام حيوانات الزمن الجيولوجي الرابع، و التي تعود بهذه المنطقة الى متوسط 2.4 مليون سنة، ليكرس لقراءة جديدة تعيد النظر في مواقع أصول الانسان ويدرج بلاد المغرب القديم ضمنها.

مثلما تطرح إشكاليات دراسة مواقع الفن الصخري في كل من الطاسيلي وأيضا الشمال، خصوصيات المناخ والغطاء النباتي وتلزم الباحثين عن التساؤل عن خلفيات هذا التحول والتراجع في الرطوبة وما نتج عنها من تركيبة حيوانية ونباتية. كما تلزمنا مقارنة كثافة مواقع الاستقرار البشري في مراحل البداوة والترحل مع الاحتشام المسجل في مصادر نفس المواقع خلال الفترات التاريخية اللاحقة.

ولعل من الأسئلة المهمة التي تظل مطروحة بالنسبة لصناعات ما قبل التاريخ هي مرجعية الأشكال المصنوعة ومدى تأثرها أو تأثيرها على الصناعات المتكشفة في مختلف المواقع العالمية؟

أسئلة كثيرة أخرى تطرح أيضا عن طبيعة العمارة الجنائزية المكتشفة ببني مسوس، عين العربي أو بونوارة، ليس فقط فيما يتعلق بالجانب الهندسي، أو الكمي أو لما تضمنته من صناعة فخارية وتحويلية بل عن طبيعة السكان وأنماط المعيشة المعتمدة في تلك الفترة، وكيفية انتقال الانسان في هذه المراحل الى مستويات الحياة الاجتماعية طالما أنه مارس عملية الدفن المنظم.

الفن الصخري :

تعتبر الرسوم الصخرية من أقدم الرسومات الفنية التي جسد عليها إنسان شمال إفريقيا أساطيره ومعتقداته، وكانت بداياته بسيطة منذ ما قبل العصر النيوليتي كنقوش الواجهات الصخرية في الأطلس الصحراوي التي تم إرجاعها للفترة القفصية لكنها تساعد على تحديد الأنماط الثقافية للحضارات الما قبل تاريخية.

المواضيع الممثلة في الفن الصخري :

احتوت مواضيع مختلفة متباينة عكست الحياة اليومية وأيضا تظهر المشاهد وكأنها مستوحاة من الميثولوجيا، ويمكن أن نستخرج منها أيضا الجانب الاقتصادي مثل مشاهد الصيد والرعي وتصوير الحيوانات.

تقسيمات الرسوم الصخرية : ومن الصعب والمختلف فيه تأريخها :

مرحلة الصيادين = عصر البلايستوسين لأشكال آدمية وحيوانية ومشاهد الصيد (نهاية العصر الحجري القديم) والفترة القفصية

مرحلة الرؤوس المستديرة = نسبة لشكل الرؤوس البشرية الدائرية فيها، خاصة بمناطق الطاسيلي مؤرخة بين 8000 و4000 سنة وبعض الآخر يعود لغاية 18000 سنة

مرحلة البقريات = أو ما تعرف بمرحلة الرعاة منذ العصر الحجري الحديث معرفوة في الطاسيلي والهوقار وهي منذ اللأف السادسة على الأقل حتى الألف الرابعة.

مرحلة الأحصنة = بدأت مع استئناس الحصان وتمثل رسومات لعرابت وكتابات بربرية قديمة وحيوانات أخرى مؤرخة بنهاية الألفية الثانية قبل الميلاد

مرحلة الجمل = مع بروز الجمل على الواجهات الصخرية بالفترات التاريخية

من أقدم لوحات الرسوم الصخرية التي تصنف ضمن ما يسميه المختصون في هذا الفن بمرحلة الرؤوس المستديرة المؤرخة حسب تقديرات بعض الباحثين بحوالي 13000 ق.م .

ومن الأمثلة الموجودة ما بينته إحدى الدراسات حول تجسيد المرأة بالفن الصخري أن لوحات الرؤوس المستديرة توح بالدور الكبير الذي كان لها أي المرأة في معتقدات و أساطير تلك الفترة، و ربما يمكن تفسير هذا الدور بكونها كانت رمزا للخصوبة، لأن الكثير من الرموز التي تظهر بتلك اللوحات مرتبطة بأساطير الخصوبة و الإخصاب ، و عموما فإن مرحلة الرؤوس المستديرة تطغى عليها الموضوعات الأسطورية ربما لأنها تسجل المحاولات ا لأولى للإنسان لفهم العالم من حوله .